الأربعون النووية

شرح فضيلة الشيخ

أحمد بن عمر بازمول

حفظه الله

الأستاذ المشارك بجامعة أم القرى

١٤٣٦ \ ١٤٣٧ هـ

ضمن دروس معهد الميراث النبوي

-تفريغ فريق صيانه السلفي-

الدرس التاسع عشر من الأربعين النووية

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَ الحَمَدَ للهِ نَحمدُهُ , ونَسْتَعِينُهُ , وَنَسْتَغْفِرُهُ , وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا , وَمِنْ سَيِئَاتِ أَعْمَالِنَا مَنْ يَهْدِهِ اللهَ فَلاَ مُضِلَ لَهُ , وَمَنْ يُضّلْل فَلاَ هَادِيَ لَه , وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهِ إِلاَّ اللهِ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ , وَأَشْهَدُ أَنَ مُحَمَدًا عَبْدَهُ وَرَسُولُهُ .

أَلاَ وَإِنَ أَصْدَقَ الْكَلَام كَلَامُ اللهِ , وَخَيرَ الهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ , وَشَرَ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا , وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٍ , وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٍ , وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أَمَّا بَعْدُ :

فقد توقفنا عند الحديث الثامن والعشرين من الأربعين النووية وهو ما رواه :

أَبِو نَجِيحٍ الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ ﷺ : قال : "وَعَظَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَوْعِظَةً وَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، وَذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! كَأَنَّهَا مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ فَأَوْصِنَا، قَالَ: أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ تَأَمَّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَى

اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ؛ فإن كل مُحدَثَةٍ بدْعة وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ).[1]

هذا الحديث حديث العرباض بن سارية –رضي الله عنه– من الأحاديث العظيمة التي فيها المخرج من الفتن والنجاة من الهلاك –بإذن الله تعالى– ، والتي فيها قواعد وأصول سلفيةٌ أساسية ، ومهمة جدًا ، حتى إن الأصول الستة التي ذكرها شيخ الإسلام مُحَمَّد بن عبد الوهاب – رحمه الله تعالى– هي مستخرجة ومستنبطة من هذا الحديث .

قوله رضي الله عنه : (وَعَظَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَوْعِظَةً)

– الموعظة : هو الكلام المشتمل على ترغيب وترهيب مع الوصاية بشيء والتذكير به .

ولذلك الموعظة في القرءان والسنة تأتي بذكر النار ترهيبًا أو ذكر الجنة ترغيبًا وتأتي في سياق ذكر ما يؤمر به العبد أو ينهى عنه ، وبهذا تختلف الموعظة عن مواعظ الصوفية ، ومواعظ الإخوانية ، ومواعظ التبليغية وغيرهم ؛ لأنها مواعظ خالية من الأحكام الشرعية ، مجرد ترغيب أو ترهيب فقط ، ثم هم يأتون بأنظمتهم وبمناهجهم وبحزبياتهم ، أمَّا الموعظة في الكتاب والسنة فهي تدعو إلى فعل أمر مع الترغيب على فعله ، أو تنهى عن فعل شيء مع التحذير والترهيب من فعله ، أيضًا الموعظة الشرعية كما قال ابن مسعود –رضي الله عنه–: (كان رسول الله –ﷺ– يتخوَّلنا بالموعظة) ، يعني : ليس دائمًا وإنَّما أحيانًا

[1]) رواه أبو داوود والترمذي وقال حديث حسن صحيح

،حتى تستجيب لها القلوب ، وحتى يكون لها الأثر ؛ لأن الواعظ كما ذكر بعض أهل العلم : الواعظ كالجلاد ،كالذي يجلد ، فالجلاد لو أنه يجلد المجلود في كل وقت ، لتبلَّد المجلود ولم يشعر مرّة أخرى بألم السياط ، ولكن لو ضربه ثمّ تركه ثمّ ضربه مرة أخرى ثمّ تركه ؛ فإنّه في كلّ مرة يشعر بألم السّياط ، كذا الموعظة لمَّا تكون في أوقات متباعدة وأوقات أيضًا مناسبة للقلوب ، ومناسبة لحال الموعوظ فإنّها تكون نافعة –بإذن الله تعالى–.

أيضًا الموعظة السّلفية كما سبق ليست ديدن الدّاعية إلى الله –عزَّ وجل– دائمًا دائمًا ، فكما في قول ابن مسعود – رضي الله عنه – : (يتخوَّلنا بالموعظة) ، وأيضًا ذكر بعض أهل العلم ، فقال : انظروا إلى صحيح البخاري –رحمه الله تعالى– : كتاب الإيمان ، كتاب العلم ، كتاب الصلاة ، كتاب الزّكاة ، الحجّ ، إلى إلى آخره ، أربع أو خمس مجلّدات ثمّ كتاب المواعظ والرّقائق في أقل ربَّما من خمسين صفحة ؛ فأيضًا هكذا تكون المواعظ ناجحة ، ويستنُّ فيها العبد بما كان عليه النّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – وأصحابه .

قال : (وَعَظَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَوْعِظَةً)

وصف أثر هذه الموعظة ، ومدى بلاغتها بقوله : (وَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ) ؛ أي : خافت ؛ لأنّ الأمر ليس بالسّهل ، هناك فتن ، وهناك أمور ، وهناك اختلافات ، وهناك حقٌ ، وهناك باطل ، وهناك أهل الحق ينصرونه ، كما أنّ هناك أهل للباطل يدعمونه ويروِّجونه

، وهناك حسابٌ وجزاء ، وهناك مسؤولية تُلقَى على عاتق طالب العلم وعلى العالم ، من هنا تحمَّلوا هذه المسؤولية ، وعلموا أنّ الأمر جلل .

(وَذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ) :

يظهر أنّ العيون ذرفت لأنّهم استشعروا أنّ النَّبي –صلَّى الله عليه وسلَّم– حين كان يكلِّمهم كأنّه يكلّمهم كما هذه الرّواية كأنه يودَّعهم ، أي أنه سيفارقهم ، وهم يحبّون النَّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – ، ويفدونه بأرواحهم وآبائهم وأمّهاتهم –رضوان الله عليهم أجمعين– ؛ لذلك الصّحابة –رضوان الله عليهم– اصطفاهم واختارهم الله لصحبة نبيِّه مُحَمَّد –صلَّى الله عليه وسلَّم– فكانوا يحبّونه –صلَّى الله عليه وسلَّم– ، كان الرجل يتقدَّم أمامه حتى إذا جاء سهمٌ مغرِض تلقَّاه ولا يصيب النّبي –صلَّى الله عليه وسلَّم– .

فلمَّا استشعروا مفارقة النّبيّ – صلّى الله عليه وسلّم– لهم ذرفت عيونهم ، أي دمعت ؛ وهكذا كان الصّحابة – رضوان الله عليهم – أهل خشيةٍ وتقوى لله – عزَّ وجل – ، وهذا من أثر العلم والعمل ، وأهل خوف على علمٍ ونورٍ من الله –عزَّ وجل – ؛ ولذلك على طالب العلم فضلًا عن العلماء أن تكون هذه صفتهم : الخشية والخوف من الله – عزّ وجلّ – ، أن يراقب الواحد أفعاله وأقواله ، وأن لا يظلم النّاس ، وأن لا يتسلّط عليهم ، وأن لا يؤذيهم ، وأن يعلم أنَّ كلَّ ما يعمل أو يقول هو مسجّلٌ ومكتوبٌ وسيقف عليه بين يدي الله –عزَّ و جل– ، فيخاف من الله –عزَّ وجل–.

جاء عن أبي بكر – رضي الله عنه – حين كان خليفة أنَّ رجلًا أغضبه ؛ يعني : قال له كلامًا أغضبه ، أغضب أبا بكرٍ –رضي الله عنه – ، فقال له أحد الحاضرين : "دعني أقتله" ، قال : "فكأنّما صُبَّ على أبي بكرٍ ماءً باردًا ، فكأنّما صُبَّ على أبي بكرٍ ماءًا بارد" ، فقال : (مه ، هذا كان لرسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – وليس لأحدٍ بعده) ؛ فهذا أبو بكر– رضي الله عنه – كان خليفة ولمَّا أغضبه رجل لم يؤذه ، ولم يتسلّط عليه ، ولم يسلّط عليه النّاس ، بل نهى النّاس عن التّسلّط عليه.

وهذا عمر –رضي الله عنه – جاءه رجلٌ مرة ، فتكلَّم بكلامٍ أو قال شيئًا أغضبه ، وكان خليفةً عمر –رضي الله عنه – ؛ فغضب عمر ؛ فقال له : من كان مع ذاك الرجل يا أمير المؤمنين ؟ ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾[2] ، فكأنّما لم يقع شيء وسكن عمر –رضي الله عليه– .

فهكذا كان الصحابة –رضوان الله عليهم– يعملون لله ، لا لأنفسهم ، يغضبون لله ، لا لدنياهم ،ومناصبهم ، وأمورهم ، ومآربهم ، ومصالحهم ، هذه الصفة ينبغي أن تتوفر في كل مسلمٍ ، وفي طالب العلم والعلماء بالخصوص .

وكم وكم رأينا ممن لا يتّصف بهذه الصفة ؛ ولذلك أول ما يُرفع من العلم : الخشية ، الخوف من الله – عزَّ وجلّ– ، والله نرى من بعض التصرفات –نسأل الله السلامة

[2]) سورة الأعراف ـ الآية 199

والعافية وأن يهدينا وإياهم للصواب والحق- ، نرى بعض التصرفات من طلبة العلم لا تليق والله بعامي فضلًا عن طالب علم

- ألــــــم يُهـــذِّبك العلــــم ؟

- ألم يُربِّك العلم علـــى الأخلاق الحسنة ، وعلى الخوف من الله – عزَّ وجلّ- ، وعلى تقوى الله – عزَّ وجلّ- ؟

- أيـــن أثـــر العلـــم ؟ أيـــن الصدق في القول والعمل ؟

- أيــــن نُصــــرة دين الله ؟ لا نُصرة فلان وفلان ؟

إنّ الصحابة -رضوان الله عليهم- نصروا الحق ، نصروا كتاب الله -عزَّ وجل- ، وسنَّة الرسول-صلَّى الله عليه وسلَّم- ؛ فنصرهم الله -عزَّ وجلّ -وجعلهم ممَّن رضي عنهم ورضوا عنه ، وهكذا العلماء الربانيون يسيرون على هذا الأمر .

إذن هذه القضية وإن كانت عرضًا ذكرها العرباض بن سارية واصفًا للحال الذي كان عليه الصحابة حين وعضهم النبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – إلا أننا نستفيد تلك المعاني

لابد يا إخواني ، ويا أخواتي ، لابد من تقوى الله – عزَّ وجلّ- ، لابد من محاسبة النفس ، لابد من الخوف أن نعمل لله لا لفلان وفلان .

نعم ، نحترم العلماء ونحبُّهم ونقدرهم ، ولكن لا نتعصب للباطل ، ولا نرد الحق من أجل عين فلان وفلان ، فإنّ هذا ليس من شأن السلفيين ، وإنّما هذا من حال المتعصِّبين ، الذين كنَّا نسمع عن أفعالهم حينما يتعصّبون لفلان وفلان من أئمة المذهب ، فنقول :

– سبـــحان الله ، كيـــف وقعـــوا في ذلك ؟

وكانوا يتعصّبون لأئمة ومع ذلك كان يستنكر العلماء ، واليوم نرى بعض النّاس يتعصَّب لبعض طلبة العلم ، ويتعصَّب للباطل ، ويُقعِّد القواعد ليرد الحق –فلا حول ولا قوة إلا بالله– .

إنّ العيون والله لتذرف من حال بعض النّاس نسأل الله أن يهدينا وإياهم للصواب .

قال : العرباض –ﷺ– : (فَقُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! كَأَنَّهَا مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ فَأَوْصِنَا)

– الوصية : هي العهد بالشيء ، والأمر بالشيء .

– يعني : أن توصي فلان بأن يفعل كذا ، وأن يُقسِّم كذا ، وأن يُترك كذا ، ونحو ذلك ، تعهد إليه بأمرٍ يفعله ، من فعلٍ أو ترك .

وهكذا كان الصحابة دائمًا يستغِلّون المناسبات في طلب كل أمرٍ يُقرِّبهم من الله –عزَّ وجلّ– .

قالوا: (يَا رَسُولَ اللَّهِ ! كَأَنَّهَا مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ فَأَوْصِنَا ، قَالَ: أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ – عزَّ وجلّ–)

هذه أول وصية أوصى بها النَّبي –صلَّى الله عليه وسلَّم– ، ولاحظوا أنّ الوصايا في هذا الحديث وصايا جامعة ؛ لأنّها وصية مودِّع ، والإنسان إذا ودّع أهله وأقاربه وإخوانه ، لا يذكر لهم عند الوداع كل شيء ، وإنَّما يذكر لهم عند الوداع المهم من كل شيء ، ويذكر لهم ما يخشى عليهم ضياعه ، أو يخشى أن يُضيِّعوه ، أو يخشى أن يحصل لهم شيءٌ من بعده .

فتأمَّلوا هذه المعاني ، قال : (أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ – عزَّ وجلّ–)

تقوى الله – عزَّ وجل – ، مرَّ معنا في شرح حديث معاذ : (اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْت)

– معنى التقوى : وهي باختصار : أن تجعل بينك وبين عذاب الله وسخطه وقاية ، بفعل الطاعات وترك المُحرَّمات على نورٍ وهدى ، ترجو ثواب الله ، بنور من الله .

– تعمل الطاعات ترجو ثواب الله على نورٍ من الله ، وتترك السيئات تخشى عذاب الله على نورٍ من الله – عزَّ وجل – .

– وقلنا إن التقوى وصية الله للأولين والآخرين ، ﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ ﴿١٣١﴾ [3] ، فهي وصية الله للأولين والآخرين .

وتقوى الله كما سبق في الكلام حينما تكلمتُ عن أثر الموعظة في وجل القلوب وخوفها ، وفي ذرف الدموع من العيون ؛ أنهم كانوا يتَّقون الله ، ويخافون الله – عزَّ وجل – ،

[3] سورة النساء ـ الآية : 131

وتقوى الله بابٌ عظيم ،من اتصف بالتقوى كان ممن يعتبر –بإذن الله تعالى– من أولياء الله –عزَّ وجل – ﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾ (4)

وتقوى الله – عزَّ وجل ، باستشعار العبد لعظمة الله – عزَّ وجل – ، ومعرفة أسمائه الحسنى وصفاته العليا ، وتدَّبر معاني كتابه وسنة نبيه – صلَّى الله عليه وسلَّم – .

(أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ – عزَّ وجلّ–) :

هذا أول أمر ، وهو أمرٌ كما سبق عظيم ، يحمل صاحبه على فعل الطاعات وترك المُحرَّمات ، يحمل صاحبه على أداء الحقوق ، كم من إنسان أخذ أموالًا من بعض الناس ولم يردَّها إليهم ، ويُضيّع الأموال يمينًا وشمالًا ولا يؤدِّي المال لأهله ؛ ولا شك أن هذا ليس من تقوى الله – عزَّ وجل – ، كم من إنسان يأخذ حقوق الناس ويغصبها ولا يؤديها إليهم فهذا ليس من تقوى الله –عزَّ وجل– ، وكما سبق تقوى الله تدخل في كل أقوالك وأفعالك يا عبد الله ، تُجرِي وتُعمِل تقوى الله في أقوالك وفي أفعالك لتنجح ، ولتفوز ، وليحصل لك الفوز بالجنة ، ورضا الله –عزَّ وجل– ، ولذَّة النظر إلى الله – عزَّ وجل – أعلى نعيم الجنة ، ويحصل لك النجاة من النار ، من جهنَّم ، وما فيها من أهوال ، وما فيها من صفاتٍ لا تستطيعها أبداننا ، ولا تتحملها ؛ فلابد من تقوى الله – عز

---

(4) سورة يونس - الآية :62

وجل – .

ثم قال : (وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ تَأَمَّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ) .

– الأمر الثاني الذي أوصى به النَّبي –صلَّى الله عليه وسلَّم– : السمع والطاعة لولاة الأمر .

– ومعنى السمع والطاعة : أنَّك تسمع وتطيع لولِيِّ الأمر في العسر واليسر ، في المنشط والمكره ، ولو استأثر وليُّ الأمر ببضع الأمور ، وفضَّل نفسه وأهله وأقاربه ببضع الأمور عليك ، هذا لا يعني أنك تطعن فيه ، وأنك تخرج عليه ، وأنك تتكلم فيه .

هذا خطأ ؛ لأننا مأمورون بالصبر : (أطع الإمام وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك) .

والطاعة لولِيِّ الأمر في غير معصية الله ، فإننا نسمع له ونطيع ، فإن أمرنا بمعصية ؛ فإننا لا نسمع له في تلك المعصية خاصة ، ويبقى السَّمع والطاعة له في بقية الأمور .

وليس المعنى أن وليَّ الأمر لو أمر بمعصية يسقط حكمه فلا سمع له ولا طاعة ، هذا فهم الخوارج ، هذا فهم التكفيريين ، هذا فهم الجهلاء الحزبيين ، الذين يحرِّفون النصوص عن معانيها ؛ لا ؛ إنما فقط في تلك في المعصية وأمَّا ، بقية أوامره فإننا نسمع ونطيع له في غير معصية الله – عزَّ وجل – .

قال الإمام العثيمين – رحمه الله تعالى –: (وليُّ الأمر إذا أمر بأمرٍ ؛ فهذا الأمر له ثلاثة أحوال :

– الحال الأول : أن يكون هذا الأمر مأمورٌ به في الكتاب والسنة ؛ فهنا نمتثل هذا الأمر طاعةً لله ورسوله ، ثمَّ طاعة لله ورسوله في الأمر بطاعة ولي الأمر ؛ مثل أن يأمر بالصلاة ، والصيام .

– الحالة الثانية : أن يأمر وليّ الأمر بأمرٍ يخالف أمر الله – عزَّ وجل – ؛ فهنا لا نسمع له في ذاك الأمر على الخصوص ، لقوله – صلَّى الله عليه وسلَّم –: (لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق) ، أمَّا بقية أوامره فنسمع له ونطيع .

– الحالة الثالثة : أن يأمر بأمرٍ ليس في كتاب الله ما يدلُّ عليه على وجوبه ، وليس في كتاب الله ما يُحرِّمه ؛ فهنا نسمع ونطيع له ؛ لأن الله أمرنا بالسمع والطاعة " انتهى .

وبهذا الكلام نفهم خطأ بعض الناس لمَّا يقول : إن ولي الأمر لا يُسمع له ويُطاع إلا في الأوامر الشرعية ، أمَّا في الأوامر الدنيوية ما له حكم علينا ؛ هذا خطأ هذا فهم الخوارج ، هذا فهم الإخوان المسلمين ، هذا فهم التكفيريين ، هذا فهم باطل عاطل عن الحق – بارك الله فيكم – .

(وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ) ؛ فيه فائدة هنا ذكرها الشيخ مُحَمَّد بازمول –جزاه الله خيرًا– في كلام له بمعناه يقول : تأملت السمع والطاعة فوجدت أن الطاعة طاعة لأوامر ولي الأمر ، وأن السمع معناه ؛ أننا لا نسمع في المجتمع إلا لكلام ولي الأمر ؛ يعني : بعض الناس قد يأتي ويشغِّب على ولي الأمر فلا يلتفت إليه .

– لمـــــــاذا ؟؟

– لأننا مأمورون بالسمع لولي الأمر لا لغيره ، وهذه فائدة دقيقة في هذه العصور والأعصار .

– لمـــــــاذا ؟؟

لأنه توجد جمعيات ، وتوجد يعني مؤسسات ، وتوجد جماعات في بعض البلدان تعارض أوامر وليَّ الأمر ؛ فالناس تضطرب ، وإذا كانت هذه الجمعيات وهذه المؤسسات وهذه الأحزاب متصفة بصفة شرعية مثل الإخوان وغيرهم يخدعون الناس ، فإنَّ الناس قد يقدمون كلام حزب الإخوان على كلام ولي الأمر ؛ وهذا خطأ ؛ لأن الواجب تقديم كلام ولي الأمر ، فإن هذا هو الذي أمرنا الله – عزَّ وجل – به ورسوله – صلَّى الله عليه وسلَّم – ، ولهذا قال: (وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ) ، فإن قيل :

– لماذا الرسول يذكر السمع والطاعة لوليِّ الأمر ؟

أقول جوابًا على هذا من وجوه :

– الوجه الأول : أن وليَّ الأمر وباب ولي الأمر هو صمَّام الأمان –بإذن الله– للمجتمع ، فلو اختَّل صمَّام الأمان هذا لظهرت الفتن ، و لسُلبت الأموال وسرقت ونهبت ، ولخِيَف الطريق وعُدِمِ الأمن وضعف أمر الدين .

– **الأمر الثاني :** هذا يدل على أن هذا الباب ؛ باب وليِّ الأمر بابٌ عظيم ، سيحصل فيه اختلاف ، ويحصل فيه اعوجاج عن الحق ؛ فالنَّبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – نبهَّنا و وصَّانا بالسمع والطاعة ، ولا نلتفت إلى تلك الأقوال ، وإلى تلك المناهج الباطلة التي تضرب باب ولِيِّ الأمر ، وينبغي أن نعلم أن كل ولِيِّ أمرٍ في بلده هو حاكمٌ وراع على رعيته ، ولهم السمع والطاعة لذاك الحاكم ، فنحن هنا في السعودية نسمع ونطيع لولِيِّ الأمر ، الملك سلمان – حفظه الله تعالى – ، وأهل مصر يسمعون ويطيعون لحاكمهم السيسي – نسأل الله أن يحفظه – ، وأهل الكويت يسمعون ويطيعون لولِيِّ أمرهم ، وهكذا أهل بلد يسمعون ويطيعون لحاكمهم .

وينبغي أن نحترم حُكَّام المسلمين ، وأن نعرف قدر هذا الباب باب السمع والطاعة لولي الأمر.

أيضًا إنّ ذكر النَّبي –صلَّى الله عليه وسلَّم– هذا الأمر –عني السمع والطاعة لولاة الأمر– ، ليدلُّ على أن السلفيين حين يتكلمون في هذا الباب ،– باب السمع والطاعة لولاة– الأمر ويبيِّنون أحكامه ، ويبيِّنون المناهج الباطلة ، إنَّما سلكوا المسلك الشرعي ؛ لأنَّ النَّبي –صلَّى الله عليه وسلَّم– وصَّانا بهذا الباب ، فكيف يأتي أصحاب تلك الجماعات والحزبيات ، كيف يأتون ويعيبون على السلفيين أنهم يداهنون الحكام ، وأنهم يجرون خلف المناصب وخلف الولاة ، وأنهم بغلة السلطان وأنهم وأنهم .. ، ويعيبون على

السلفيين تكلُّمهم في باب ولاة الأمر، يا أخي –بارك الله فيك– إنما نتكلَّم قال الله ، قال رسوله ، قال الصحابة .

أما قال أنس كما مرَّ معنا : "كان كبراؤنا من أصحاب رسول الله –صلَّى الله عليه وسلَّم– ينهوننا عن سب السلطان"

– فـــهل هـــؤلاء مـــــداهنون ؟

فانظروا –بارك الله فيكم– كيف أن تلك الجماعات والحزبيات ، وتلك البدع والضلالات ، وتلك الأمور المشينة ،كيف تتسلط على الأحكام الشرعية والنصوص الشرعية ، فتجعل معانيها غير مرضية .

إذن –بارك الله فيكم– قال : (وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ تَأَمَّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ)

(وَإِنْ تَأَمَّرَ) : يعني وإن كان حصل أن الأمير عبدٌ ، جاء في بعض الروايات (مُجدَّع الأطراف) يعني : مُقطَّع الأطراف ، ما عندُه يَديْن ، وقد تكون حتى أيضًا أرجله مقطعة لكنه أمير وحاكم ، فلا نقول هذا عاجز ونخرج عليه ، هذا عبدٌ حقير ، خاصة النَّبي –صلَّى الله عليه وسلَّم– كان يخاطب عربًا أقحاح ، وكانت العرب في الجاهلية تأنَف من أن يتأمر عليها أحد ؛ لذلك كان الأمير والقوة عندهم لمن غلب ، وكانت القرية الكبيرة تأكل الصغيرة ، فلمَّا جاء الإسلام أبطل هذه الأمور كلها ، وامتثل الصحابة –رضوان الله

عليهم– أمر النَّبي –صلَّى الله عليه وسلم–، فقال لهم : (وَإِنْ تَأَمَّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ) تسمعون وتطيعون .

إذًا كما يقول بعض أهل العلم : مهما كان في الحاكم من نقص ، ومهما كان في الحاكم من عيب ، فلابد من الصبر ، ولابد من السمع والطاعة، ويحرم الكلام عليه ، ويحرم الخروج عليه ، وتحرم المظاهرات والإضرابات والانقلابات ، كل هذه حرام ، كلها هذه تخالف المنهج الشرعي ، والمنهج السلفي ، والإسلام منها بريء

– لمــــــــاذا ؟

– لأن هذه الأمور لو حصلت فإن الفتن تتسلط على الناس ، ويضعف تطبيق الدين ، وتراق الدماء وتنتهب الأموال ، وتنتهك الأعراض ، ويخاف الطريق ، فلا تأمن السبل، فتن ، والحقيقة لست بحاجة لهذا الكلام ، لأن الواقع اليوم كلنا يقرؤه بدموع عينه يرى حال المسلمين في العراق وفي سوريا وفي ليبيا ، وفي اليمن ، وفي غيرها من بلاد المسلمين ؛ كيف أُريقت الدماء ، وقُتِّل الشيوخ والنساء والصبيان وأُنتهبت الأموال ، وأُنتهكت الأعراض ، وضعف أمر الدين ، وتسلط الأعداء ؛ لذلك هذه وصية مهمة وجامعة .

(وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ تَأَمَّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ) [5]؛ وهذا يدل على إبطال مسألة ؛ وهي أن بعض التكفيريين ، وبعض الجماعات

– مــــاذا يفعــل ؟ ، ومــــاذا يقــول ؟

---

[5]) رواه أبو داوود [رقم:4607]، والترمذي [رقم:266] وقال: حديث حسن صحيح .

– يقول : " إن هؤلاء الحكام لا سمع لهم ولا طاعة " ، طيب ؛

– لمــــاذا ؟

يقول : " لأن السمع والطاعة ؛ إنما تكون لقُرشي ؛ وهؤلاء ليسوا بقُرشيين " .

أولًا : نقول : قبحك الله

– من أين أتيت بهذا ؟ ، من أين أتيت أنه لا سمع ولا طاعة إلا للقرشيين ؟

– نعم ، ذكر أهل العلم بما دلت عليه النصوص في بعض الروايات أن الأئمة من قريش ؛ أن هذا من باب الأفضل والأكمل ، وأن هذا لو كان ؛ ولكن هذا الحديث الذي معنا (وَإِنْ تَأَمَّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ) ، ورواية أخرى : (مُجَدَّعَ مُقَطَّعُ الْأَطْرَافِ) ، وعموم الروايات في السمع والطاعة لولي الأمر لا تجعل كون ولي الأمر قُرشيًا شرطًا في السمع والطاعة ؛ يعني

– مرسي كان قُرشي ؟ ، وفلان كان قُرشي حين أمرتم بالسمع والطاعة له ؟

– أم هذا فقط من باب التلاعب بالعوام ، وعقول العوام ، وممن باب تحريف النصوص ؛ فمتى كان الأمر لكم أذعنتم لها للنصوص ، ومتى كان الأمر عليكم لم تُسلموا بالنصوص ، ولم ترفعوا لها رأسًا – فإذًا ؛ هذا الحديث يدلّ على بطلان ذاك القول ؛ فنحن نسمع ونرى من بعض الناس يدندن بهذه القضية ؛ يقول : "هؤلاء لا سمع ولا طاعة لهم لأنهم ليسوا من قريش "

- نقول له: " ليس شرطًا في الإمام أن يكون قُرشيًا للسمع والطاعة ؛ متى ما تأمر ووصل إلى حكم الحاكم فله السمع والطاعة ".

وإني أختم ما يتعلق بالسمع والطاعة بقضية أنبه وأذكر بها نفسي وإخواني ؛ ألا وهي إن عثمان – ﵁ وأرضاه – زوج بنتي النبي – ﷺ – ذي النورين ، الذي قال فيه النبي – ﷺ – : (مَا ضَرَّ عُثْمَان مَا فَعَلَ بَعْدَ اليَوم) ، وقال فيه النبي – ﷺ أنه من أهل الجنة وأنه شهيد – ﵁ وأرضاه – ، مع كل هذه المكانة لهذا الصحابي الجليل – ﵁ وأرضاه – وعن جميع صحابة رسول الله – ﷺ – إذا بنا نجد أن بعض المشغبين ، والفتانين في المجتمع ؛ من الخوارج ومن غيرهم ، لما أثاروا على عثمان الكلام والفتن قُتل عثمان – ﵁ وأرضاه – ؛ قُتل مظلومًا ، وأخبر النبي – ﷺ – أنّه شهيد – ﵁ وأرضاه – ، فإذا كان عثمان بهذه المكانة بسبب الفتن ، والقلاقل ، والإشاعات ؛ سقط حكمه وقُتل – ﵁ وأرضاه – ظلمًا ..

-فاعلموا أن الإشاعات حول ولاة الأمر تُسقطهم ؛ فإياكم وإياكم وهذه الإشاعات ، وهذه الأخبار التي كثير منها كاذبة فاجرة ، وبعضها إن صح لا يلزم منها إسقاط ولي الأمر ، ولا طعن فيه ؛ بل الواجب الصبر وكراهية المعصية .

قال – ﷺ –: (مَنْ رَأَى أَمِيرَهُ عَلَى مَعْصِيَةٍ فَلْيَصْبِرْ) ، لم يقل : فليخرج ، فليضرب ، فلينقلب ، فليظاهر ، ما في مظاهرات سلمية ومظاهرات غير سلمية ؛ هذا كذب

ولعب ؛ وإنما قال : (فَلْيَصْبِرِ وَلْيَكْرَه الذِي أَتَى) ؛ يعني يكره معصية الله ، أو كما قال – عليه الصلاة والسلام – .

فإذًا ؛ تأملوا هذا جيدًا – بارك الله فيكم – .

قال : (فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا ، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيينَ ، تمسكوا بها وعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ)

قوله – صلى الله عليه وسلم – : (فَإِنَّهُ مَنْ يَعِش مِنْكُم بَعْدِي) ، – فإنه من يعش منكم يعني بعد موتي – فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا) ، هذا فيه علم من أعلام النبوة ؛ إذ في أواخر حياة الصحابة – رضوان الله عليهم – ظهرت الفتن ، ظهرت فتنة الخوارج ، وظهرت فتنة الشيعة ، وظهرت فتنة القدرية في أوائلها ؛ فهذا علم من أعلام النبوة (فَإِنَّهُ مَنْ يَعِش مِنْكُم فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا)

الاختلاف هنا كما سبق معنا في حديث (إِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُم كَثْرَةُ سُؤَالِهِم وَاخْتِلَافِهِم عَلَى أَنْبِيَائِهِم) [6]، سبق معنا أن :

– الاختلاف هنا المراد به :

– الاختلاف في الدين ، وليس المراد به فقط مجرد المعاصي والانغماس في الدنيا ؛ إنما المراد به الاختلاف في الدين .

---

[6]) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ [رقم:7288]، وَمُسْلِمٌ [رقم:1337].

قال : (فَعَلَيْكُم) ؛ إذًا سيقع اختلاف ، تبديل ، مناهج جديدة ، تضييع للقواعد الشرعية والأصول السلفية ، ستقع بدع وضلالات ،

– مـــا المخـــرج ؟ ، مـــا النـــجـــاةُ ؟

– النجاة ؛ بالرجوع إلى السنة ؛ سنة النبي – صلى الله عليه وسلم – وسنة الخلفاء الراشدين ، والرجوع إلى سنة النبي– صلى الله عليه وسلم – ؛ أي إلى طريقته وإلى هديه ، وأقواله ، وأفعاله ، وشأنه كله – عليه الصلاة والسلام – .

(وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ) ؛ أي سنة أبي بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي – ﷺ وأرضاهم أجمعين – ، فالرجوع إلى السنة وتطبيقها هو الواجب على كل مسلم ومسلمة ، وليس الرجوع إلى السنة تشغيبا كما يقوله بعض المشغبين ، وليس الرجوع إلى السنة من باب إثارة الفتن ؛ بل من باب نصرة الحق والرجوع للحق ، فبعض الناس إذا أتيته وبينت له السنة يقول :

يا أخي " لا تُشغب "

– كيـف لا تُشـــغـــب ؟

– هذا بيان للحق ، بيان للسنة ، إن كان باطلا فبيّن لي هذا الباطل ، وإن كان حقا فالواجب عليك إتباعه ؛ ولذلك من أساليب أهل الباطل الإتيان بالكلام المجمل غير المُفسَّر فيقول لك : " فلان مُشغب " طيب ؛ **إيش تشغيبه ؟** ، أثبت لي تشغيبه

– هل حرَّف النصوص ؟ هل أتى بقواعد جديدة ؟

بينها لي ، **هل طعن في العلماء ؟**

أثبته لي ، **هل مشى مع أهل الباطل ونصرهم ؟**

أطلعني عليه

أمّا تأتي بكلام مجمل ؛ ولذلك إذا أردت أن لا تظلم أحدًا فمن آتاك بكلام مجمل قل له : " بين لي ، وضحه لي ، **ما هي الأسباب ؟** "

– فالواجب إذًا ؛ الرجوع إلى السنّة والعمل بالسنة وتطبيقها ؛ ﴿ إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ ﴾[7]

فهذا من نصر الله – عز وجل –

(وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ) ؛ يعني فيما عملوا به ، وكان خلفاء لا يتقدمون على كتاب الله ولا على سنة رسول الله ، وإذا جاءهم أمر جمعوا الصحابة – أهل الشورى منهم وأهل الرأي والعقل – واستشاروهم ونفذوا أمر الله فيما يتفقون عليه .

قال : (وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ تَمَسَّكُوا بِهَا) ؛ تأتيك مغريات ، يأتيك أنك ترى الكثرة مع الباطل فتغتر نقول لك : لا، الكثرة والجماعة هي الحق وإن كنت وحدك ؛ فليست الكثرة هي الجماعة من حيث هي ؛ ولكن الحق هو الجماعة فالزم الحق وتمسك به ، ثم إن في زمن الفتن والاختلاف تعظم الفتنة حتى ينجر معها الإنسان إن لم يرحمه الله

[7] سورة محمد (7)

– عز وجل – بفضله ورحمته ، فعندها تمسك بالنواجذ ؛ يعني تمسك بها بيدك وبأسنانك تمسكًا شديدًا ؛ لأن النواجذ

من الأسنان ؛ يعني إذا قبض بها الإنسان على شيء ، عضَّ بها على شيء غالبا لا يفلت منه ، إلا أن تسقط هذه الأسنان ، أو يسقط جزء من هذا الجسم الذي قد عُضَّ فينقطع اللحم ؛ وهذا فيه الأمر بشدة التمسك .

وقد جاء عن النبي ﷺ أنه قال : (يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ الْقَابِضُ فيه عَلَى دِينِهِ كالقابضِ على الجَمْر) [8] ؛ من شدة الفتن وكثرة أهلها ، وغربة أهل الحق وقلة أهله ، ومع ذلك فتمسك بها ، واصبر عليها ، ومت على ذلك .

ثم قال رسول الله – ﷺ – : (وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُور) ، إن حدثت الاختلافات وحدثت الاضطرابات ، وظهرت البدع والمحدثات ، وحصل هناك الشقاق والخلاف على سنة النبي – ﷺ – ، فاجتنب واحذر المحدثات ؛ الأمور التي أحدثها الناس في دين الله – عز وجل– مما لم يكن عليه النبي – ﷺ – ولا أصحابه ، ولا دلت عليه الأدلة الشرعية (وَإِيَّاكُمْ) ، (وَإِيَّاكُمْ) ؛ أسلوب تحذير ، (إياك) بمعنى احذر ، و (إياكم) بمعنى احذروا ، احذروا الأمور المحدثة ؛ لأنها لا خير فيها .

– لمـــــاذا ؟

– قال : (فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ) ؛ لأن الأمور المحدثة توقع في البدع ؛

---

[8]) رواه الترمذي

- **الأمــر المحـدث :** هو الأمر أول ما يقع ويفعله الناس على خلاف سنة الرسول ، فيقال له " أمر محدث " ، فإن استمروا عليه سمي "بدعة " ، وإن تركوه كان " أمرا محدثا "

- فإذًا ؛ قال العلماء : " الأمر المحدث هي البدعة في أول ظهورها " ؛ المحدثات والبدع كلها ضلالات وكلها في النار كما قال النبي – ﷺ – في الحديث الآخر (وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ) [9]

هذا يدل كما قال العلماء على أنه " لا توجد هناك بدعة حسنة ، وبدعة مكروهة ، وبدعة مباحة ؛ بل كلها بدع وضلالات وكلها محرمات ، وكلها في النار كما أخبر النبي – ﷺ –

إذًا –بارك الله فيكم– ؛ هذا الحديث يستحق أكثر من هذا الشرح ، ويستحق التأمل والتدبر أكثر وأكثر ؛ لأنها مجموعة من الوصايا التي أوصى بها النبي – ﷺ – أصحابه وأمتهم من بعدهم أن يسيروا عليها ، وأن يحذروا من البدع والمحدثات .

الحديث التاسع والعشرون :

وهو ما رواه معاذ بن جبل قَالَ : (قُلْت يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ وَيُبَاعِدْنِي مِنْ النَّارِ، قَالَ: "لَقَدْ سَأَلْت عَنْ عَظِيمٍ ، وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ: تَعْبُدُ اللَّهَ لَا تُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ ، وَتَحُجُّ الْبَيْتَ

[9]) أخرجه بهذا اللفظ النسائي في سننه 188/3

، ثُمَّ قَالَ: أَلَا أَدُلُّك عَلَى أَبْوَابِ الْخَيْرِ؟ الصَّوْمُ جُنَّةٌ ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ ، وَصَلَاةُ الرَّجُلِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ ، ثُمَّ تَلَا: " تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ " حَتَّى بَلَغَ قوله "يَعْمَلُونَ"، ثُمَّ قَالَ: أَلَا أُخْبِرُك بِرَأْسِ الْأَمْرِ وَعَمُودِهِ وَذُرْوَةِ سَنَامِهِ؟ قُلْت: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ. فقَالَ : رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ ، وَذُرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ ، ثُمَّ قَالَ : أَلَا أُخْبِرُك بِمَلَاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ؟ فقُلْت: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّه! فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ وَقَالَ: كُفَّ عَلَيْك هَذَا. قُلْت: يَا نَبِيَّ اللَّهِ وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ فَقَالَ: ثَكِلَتْك أُمُّك وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ عَلَى وُجُوهِهِمْ -أَوْ قَالَ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ- إلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ؟!) [10]. رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح .

- هــذا الحديث العظــيم فيه فــوائــد :

- قوله - رضي الله عنه - وسؤاله للنبي - صلى الله عليه وسلم - (يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ وَيُبَاعِدْنِي مِنْ النَّارِ) ؛ هذا فيه بيان ما عند الصحابة من الحرص على كل أمر يقربهم من الله وإلى جنته ، وكل أمر يباعدهم عن الله وعن ناره وسخطه ؛ فهم حريصون على تعلم ما يقربهم إلى الله ليعملوه ، وتعلم ما يباعدهم عن الله وعن ناره ليجتنبوه ويتركوه ؛ وهذا فيه أن المسلم يسأل عما ينفعه وعما يحتاجه ، ويترك الأسئلة التي لا تعود عليه بالخير .

وقوله - صلى الله عليه وسلم - (لَقَدْ سَأَلْت عَنْ عَظِيمٍ) ؛ يعني سألتني عن أمر عظيم ؛ هذا الأمر الذي يقربك من الله ومن جنته هذا الأمر الذي يقربك من الله إن عملته ، ويباعدك عن الله إن

---

[10]) رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ [رقم:2616] وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

تركته ويباعدك عن النار إن امتثلت أمر الله – عز وجل – ؛ هذا أمر عظيم وجامع ، وسؤالٌ مهم ؛ لذلك قال له النبي – ﷺ – (لَقَدْ سَأَلْت عَنْ عَظِيمٍ) ؛ وهذا أيضا فيه أن ينتبه السائل ؛ لأن السائل أحيانا يسأل ولا ينتبه للجواب فينشغل بأمر آخر ؛ ولكن لما يقول له قبل أن يجيب (لَقَدْ سَأَلْت عَنْ عَظِيمٍ) ؛ يلفت انتباهه .

– وقوله ﷺ : (وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ) ؛ يعني أن هذا الأمر وإن كان عظيمًا لكنه هو سهلٌ وميسرٌ ؛ لأن دين الله – عز وجل – دين سهلٌ وسمحٌ لا حرج فيه ولا مشقة ، ودين الله – عز وجل – فيه من الأوامر والنواهي ما يستطيعها العباد ، وشُرِع لهم عند حصول المشقة ؛ التخفيف والتيسير .

فإذًا ؛ كان هذا الدين يسيرًا على من يسره الله عليه ؛ يعني على من وفقه الله للعمل بهذا الدين بأن حبب إليه الإيمان ، وكره إليه المعاصي والكفر والفسوق والعصيان .

(وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ تَعْبُدُ اللَّهَ لَا تُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا) ؛ يعني أول أمر :

– **التـوحــيد :** عبادة الله – عز وجل – ؛ لأن هذا هو الأساس الذي ينبني عليه ما بعده ؛ فإن كان التوحيد سليمًا سلِم ما بعده ، وإن نقص فيه شيء أو حصل فيه خلل فبحسبه ، وإن انتفى التوحيد كان صاحبه خالدًا مخلدًا في النار إن مات على الشرك أو على الكفر .

– ثم قال – ﷺ – (تَعْبُدُ اللَّهَ ولَا تُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ) ، وتقديم التوحيد دليل على أهمية التوحيد ، وأن المسلم عليه أن يشتغل بالتوحيد دائما ؛ وهذا فيه ردٌّ على

تلك الجماعات التي تعيب على السلفيين ، وتعيب على أهل العلم كثرة اشتغالهم بالتوحيد فيقولون " توحيد ، توحيد توحيد... مليتونا ، أتونا أو أحضروا أشياء أخرى ، أو تكلموا في أشياء أخرى "

– فنقول لهؤلاء كما قال النبي – ﷺ – : (فَلْيَكُن أَوَلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله) ؛ وكما هنا (شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله) ؛ وكما هنا يدعوهم أول ما ذكر لمعاذ قال : (تَعْبُدُ اللَّهَ لا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا) ؛ فهذا يدل على أهمية التوحيد ، وقد مرّ معنا ما يتعلق بهذا الجانب .

– قال : (وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ) ؛ إقامة الصلاة بمعنى أن تصليها بواجباتها ، وأركانها ، وشروطها ، مواقيتها ، وتحافظ عليها .

(وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ) ؛ إن كان عندك مال وتحققت فيك الشروط وحال عليك الحول ؛ فإنك تخرج زكاة مالك حتى لا يكون مالك وبالا عليك وشقاء عليك يوم القيامة ؛ لأن الذي يمنع الزكاة يُعذب بها كما جاء في الأخبار ،

(وَتَصُومُ رَمَضَانَ ، وَتَحُجُّ الْبَيْتَ) ؛ هذه هي " أركان الإسلام " وقد مرّت معنا في حديث ابن عمر

–ثم قال : (أَلاَ أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الْخَيْرِ) ؛ هنا يفتح له النبي –ﷺ– زيادة على

" أركان الإسلام " ، أبوابا أخرى ، وأبوابا مهمة ، فقال : (أَلاَ أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الخَيْرِ) ، وهكذا المسلم يسعى للدلالة على أبواب الخير والعمل بها ، فقال – عليه الصلاة

والسلام– معلما معاذا ومعلمنا أيضا معه : (الصَّوْمُ جُنَّةٌ) ؛ يعني باب الصيام باب من أبواب الخير المهمة .

وقد جاء عن النبي –ﷺ– أنه قال لأحد الصحابة : (عَلَيْكَ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَا مِثْلَ لَهُ ، أَوْ لَا مَثِيلَ لَهُ) .

وكان –ﷺ– يسرد الصوم حتى كان الصحابة يقولون : " لا يفطر " ، وكان يفطر حتى يقول الصحابة : " لا يصوم " .

(والصَّوْمُ جُنَّةٌ) ؛ يعني سترٌ لك ووقاية من عذاب الله – عز وجل – ، ومن سخطه

وأيضا (الصَّوْمُ جُنَّةٌ) ؛ بمعنى يحفظ عليك أعمالك وأقوالك ويقيك الوقوع في المعاصي ؛ ولذلك قال النبي –ﷺ– للشباب الذين لا يستطيعون النكاح : (وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ ؛ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ) .

قال : (وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الخَطِيْئَةَ كَمَا يُطْفِئُ المَاءُ النَّارَ) ؛ يعني الصدقة كما مرّ معنا " الصدقة برهان "

– ومـــن فضـــائـل الصـــدقة :

ما جاء في هذا الحديث أنها (تُطْفِئُ الخَطِيْئَةَ) ؛ بمعنى تطفئ الذنب وتغفره لصاحبه ، وقد مرّ معنا شيء مما يتعلق بالصدقة ، – ثم قال – ؛ ولكن لاحظ أن تشبيه إطفاء الصدقة للخطيئة بإطفاء الماء للنار فيه فوائد ؛ من ذلك

كما ذكر بعض أهل العلم : " أن الخطيئة فيها حرارة وفيها ضيق ، كما أن في النار حرارة ولهيب ، وأن في التوبة والرجوع إلى الله والحسنات والرجوع إلى الله – عز وجل فيها برود كما أن في الماء إبراد لهذه النار ".

– ثم قال –ﷺ– : (وَصَلاةُ الرَّجُلِ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ ثُمَّ تَلا : ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ ﴾[11] – إلى قوله –﴿ يَعْمَلُونَ ﴾) ؛ يعني قيامه بالليل وصلاته بالليل ، (فِي جَوْفِ اللَّيْلِ) ؛ أي في أوسطه ؛ لأن هذا الوقت يكون الناس فيه نياما ، ويكون الناس فيه هدوءًا ، ويكون الإنسان فيه متعب فيترك راحته ولذته لطاعة الله – عز وجل – ، فهؤلاء الذين يؤثرون طاعة الله على راحة أبدانهم ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ ﴾ ؛ يعني يرغبون في القيام أكثر من رغبتهم في النوم .

– ثم قال –ﷺ– : (أَلَا أُخْبِرُك بِرَأْسِ الْأَمْرِ كُلِّه) ، (أَلَا أُخْبِرُك بِرَأْسِ الْأَمْرِ كُلِّهِ وَعَمُودِهِ وَذُرْوَةِ سَنَامِهِ؟) ؛ يعني الذي يجمع لك كل الأمور ، (فَرَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ) .

– والإسـلام كـما هـو معلـوم :

الِاستسلام لله – عز وجل – بالتوحيد ، والانقياد له بالطاعة ، والخلوص من الشرك وأهله ، كما مرّ معنا .

(فَرَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ وَعَمُودُهُ – أي عمود الإسلام – الصَّلَاةُ) ؛ فكأنه شبه " الإسلام " بالخيمة ، وشبه "الصلاة " بعمود الخيمة الذي لا تقوم إلا عليه .

– ثم قال : (وَذرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ) ، (وذرْوَةُ سَنَامِهِ) : أي أعلاه ، أعلى الإسلام "الجهاد في سبيل الله " ؛ ولكن الجهاد في سبيل الله لابد أن يكون على السنّة وعلى الطريقة الشرعية ، وأمّا ما يفعله الخوارج والدواعش والإرهابيون من التفجير ، والقتل للأبرياء ، وقتل المسلمين ، والتسلط عليهم ، والإساءة للإسلام ؛ فهذا ليس من الإسلام في شيء ، وليس من الجهاد .

[11]) سورة السجدة (16)

وهنا أنبه على الأئمة الذين يقولون في صلاتهم ويخدعون المصلين أن ما يحصل من الدواعش كأنه جهاد وكأنه قتال في سبيل الله ؛ فإنّ العلماء ذكروا القتال هذا في العراق من الدواعش ومن غيرهم ليس من الجهاد في سبيل الله .

– ثم قال – عليه الصلاة والسلام – : (أَلَا أُخْبِرُك بِمَلَاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ؟ قُلْت: بَلَى يَا نَبِيَّ اللَّهِ! فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ وَقَالَ: كُفَّ عَلَيْك هَذَا. قُلْت: يَا نَبِيَّ اللَّهِ وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟)

هنا النبي – ﷺ – أخبر معاذا بالأمر الذي ينجيه من عذاب الله ، وبالأمر الذي يجمع له ما سبق ؛ أن يكف لسانه ، وقد مرّ معنا عند قوله – ﷺ – (مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاَللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ)[12].

ومن ذلك قوله – ﷺ – : (مَنْ يَضْمَنُ لِي مَا بَيْنَ فَكَيْهِ وَمَا بَيْنَ..) وفي رواية : (مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ فَخْذَيهِ أَضْمَنُ لَهُ الْجَنَّةَ) ؛ يعني من يضمن لي لسانه وفمه ، ويضمن فرجه فلا يقع فيها في الحرام ويأتي ما أمره الله به ؛ فإنه يكون من أهل الجنّة .

(أَلَا أُخْبِرُك بِمَلَاكِ ذَلِكَ) ؛ أي بالأمر الذي يجمع لك ذلك ، (قُلْت: بَلَى يَا نَبِيَّ اللَّه)
فقال : معاذ – رضي الله عنه – : (يَا نَبِيَّ اللَّهِ وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟)

هنا معاذ – رضي الله عنه – تعجب ؛ لأنه يظهر أنه كان يظن أن الكلام لا يُحاسب عليه المرء ، فأخبره النبي – ﷺ – أن الناس مؤاخذون بما يتكلمون .

---

[12]) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ [رقم:6018]، وَمُسْلِمٌ [رقم:47]

– (فَقَالَ : ثَكِلَتْك أُمُّك يَا مُعَاذ) قال العلماء : " هذا الدعاء منقبة لمعاذ ؛ لأن النبي – ﷺ – سأل الله – عز وجل – أن يجعل أيما رجل من أصحابه دعا عليه أن يجعلها له شفاعة " وأيضا قال العلماء قوله : " (فَقَالَ : ثَكِلَتْك أُمُّك يَا مُعَاذ) ؛ ليس من باب الدعاء عليه ، وإنما من عادة العرب من باب تفخيم الأمر ، ومن باب تهويله " .

فبيّن له النبي – ﷺ – أن الناس يوم القيامة يسقطون في النار على وجوهم أو على مناخرهم بسبب ألسنتهم ، وبسبب ما يتكلمون به من غيبة ونميمة ، وظلم ، وبهتان ، وقذف ؛ ولذلك اللسان كما يقول ابن حبان : " سبعٌ عقور إن فلته أهلكك ، وإن أمسكته نجوت " أو كما قال – رحمه الله تعالى – .

فهذا الحديث يبين لنا خطورة اللسان ، وكان أبو بكر – رضي الله عنه – يمسك لسانه ويقول : " هذا الذي أوردني الموارد " ؛ يعني أن اللسان يوقع الإنسان في المواطن الصعبة ، فهذا أبو بكر – رضي الله عنه – مع ديانته ، وأمانته ، وتقواه ، وخشيته لله – عز وجل – ؛ يقول عن نفسه " ويمسك لسانه " هذا الذي أوردني الموارد " ، وهو – رضي الله عنه – من أتقى الصحابة ، ومن أورعهم ، ومن أخشاهم لله – رضي الله عنه وأرضاه – ، شهد له النبي – ﷺ – بأنه صديق ، وأنه في الجنة ، وأنه – رضي الله عنه وأرضاه – له منزلة عالية من النبي – ﷺ – ؛ فهو خليفته ،

–فكيف بنا ، وكيف بألسنتنا ما فيها من كذب ، وغبية ، ونميمة ، وأذية ، وبهتان ؟ .

وقد جاء في حديث سمرة في رؤيا النبي – ﷺ – ما يدل على أن الذين يكذبون على الناس يعذبون في فمهم ؛ فرأى النبي – ﷺ – أن رجلا يُغرس فيه كلاليب وتشدق أشداقه ثم يعاد فقال : (مَنْ هَذَا ؟ ، فَقَالَ : هَذَا رَجُلُ يَكْذِبُ الْكَذِبَة فَتَبْلُغُ الْآفَاقَ) .

نعم رأينا من يكذب على بعض الناس كذبة فتنتشر في المجتمع خاصة مع وسائل الاتصال ، ووسائل الإنترنت ، على كل واحد أن يتقي الله وأن يحذر من أن يكذب على إخوانه وأن يفتري ، فإن الوقوف بين يدي الله – عز وجل – شديد .

أسأل الله – عز وجل – أن ينفعني وإياكم بما سمعنا ، وأن يكون حجة لنا لا حجة علينا .

وصلى الله وسلم على نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين .